﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

[المائدة: 80]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمّا ذكر أحوال أسلافهم شرع في أحوال معاصريهم؛ لبيان لزومهم لتلك المناكر

بعد "أن ذكر الله تعالى لنبيّه أحوال أسلافهم، ذكر له أحوال حاضريهم ممّا يدلّ على رسوخ تلك الملكات فيهم فقال: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾"[1]. ولمّا "أخبر بإقرارهم على المناكر، دلّ على ذلك بأمر ظاهر منهم لازم ثابت دائم مقوّض لبنيان دينهم"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

يتولّون: الاتّباع والصّداقة مع اقتضاء المودّة والاتّفاق في الاعتقاد

1) ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: من الولاية، "قوله: ﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي يوالونهم ويصادقونهم"[3].

السّخط: الغَضَبُ الشّديد المقتضي لإنزال العقوبة

2) ﴿سَخِطَ﴾: السُّخط: خلاف الرّضا، وهو الكراهيةُ للشَّيءِ وعدم الرِّضا به، والغضب الشّديد المقتضي للعقوبة[4]. وإذا كان السّخط من الله تعالى، فهو بمعنى إنزال العقوبة ووجوب العذاب[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إخبار عن ظهور مولاتهم للكافرين، وإخبار عن سوء منقلبهم، إذ سخط الله عليهم

يخاطب الله تعالى النّبي أو الرّائي أنّك ترى كثيرًا من الكفرة من هؤلاء اليهود يحبّون الكافرين ويميلون إليهم، ويعادونك ويعادون الموحّدين، ساء ما يُقدِمُونَ عليه من موالاتهم الكافرين، فإنّها سبب

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/412، والهرري، حدائق الروح والريحان: 7/43.
(2) البقاعيّ، نظم الدرر: 6/266.
(3) الصّاوي، حاشية الصاوي على الجلالين: 1/281، والهرري، حدائق الروح والريحان: 7/430.
(4) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن الأثير، النهاية، والفيومي، المصباح المنير: (سخط).
(5) السمرقندي، بحر العلوم: 1/411.

غضب الله عليهم، وإدخاله إيّاهم النّار خالدين فيها، لا يخرجون منها أبدًا[1]. والمعنى: ترى كثيرًا من اليهود يوالون المشركين من عبدة الأوثان ويعادون أولياء الله[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

العدول عن الإخبار إلى الرّؤية بالبصر:

تأكيدًا لمولاتهم؛ وظهورها للعين؛ لأن الرّؤية أثبتُ أسباب العلم

في قوله ﷻ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ أخبر عن موالاتهم الكفّار، ولم يقل: (إنّ كثيرًا منهم يتولّون الذين كفروا) فهو "قد أكّد الكلام بأنّه لم يعبّر عنه بالإخبار، بل عبّر عنه بالرّؤية المبصرة التي هي أقوى أسباب العلم الحسّيّ"[3]؛ لأنّها من الرؤية البصريّة[4]، وفائدة ذلك المبالغة في شدّة موالاتهم؛ إذ إنّها كانت ظاهرة واضحة بحيث يراها كلّ أحدٍ.

مرجع الضّمير:

اتّصال الآيات يدلّ على أنّ المراد بهم منافقو اليهود

الضّمير في قوله تعالى: ﴿كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ﴾ يعود إلى اليهود، فهم يتولّون كفّار مكة. والمقصود بهم المنافقون من اليهود، وهذا القول يؤكّده ما بعد هذه الآية ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ﴾، ويجب أن يكون في المنافقين من اليهود؛ لاتّصالها بما قبلها، وقبلها في ذكر اليهود لا المشركين[5].

الغرض من الذّم:

ذمّ ما قدّموا من العمل تقبيحًا له وتعجيبًا منه

في قوله جلّ شأنه: ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ عبّر تعالى بصيغة الذّمّ تقبيحًا لما سينالون من جزاء على أعمالهم، وصدور التّقبيح من الله ﷻ لشيء ما، يدلّ على أنّه بلغ النّهاية في القبح.

(1) لجنة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن: 1/121.
(2) مكيّ بن أبي طالب، الهداية: 3/1823.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2328.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/294.
(5) الواحدي، البسيط: 7/491 - 492.

دلالة لام القسم:

جـــاء الـقـسـم المـقـدّر والـلّام تأكيدًا لقباحة وسـوء جزائهم يوم القيامة

قوله جلّ شأنه: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ اللّام فيه هي اللّام الموطّئة للقسم، فلمّا بيّن قبح ما سينالون بصيغة الذّمّ أكّد ذلك بالقسم، وباللّام الموطّئة له، والتّقدير: واللّه لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم، وأفاد ذلك تأكيد مضمون الجملة.

إيثار التّعبير بالمصدر المؤوّل دون المصدر الصّريح:

آثـــر الـتّـعـبـير بالمصدر المـؤوّل للدّلالة على أنّ الذّمّ للمعنى في حالة الحدوث، لا لذات المعنى

في قوله عزل وجلّ: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ عبّر بالمصدر المؤوّل من ﴿مَا﴾ المصدرية والفعل، "يَعنِي بِذَلِكَ مُوَالَاتِهِم لِلكَافِرِينَ، وَتَركَهُم مُوَالَاةَ المُؤمِنِينَ، الَّتِي أَعقَبَتهُم نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِم"[1]. فالموالاة المنهي عنها مذمومةٌ، ولا يذمّ أحدٌ ما بسبب هذه الموالاة لذاتها، بل لفعله إيّاها، والسّياق ليس حديثًا عن بيان سوء هذه الموالاة، بل هو لبيان معاصي اليهود، فكان الفعل أنسب لهذا المقام.

السّرّ في وصف الأعمال بالتّقديم:

الـتّـعـبـير عـن الـعـمـل بـما قـدّمـوا، لأنّـه فَـرَطٌ سيلقونه أمـامـهـم يـوم القيامة

قوله ﷻ: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ عبّر عن أعمالهم بالتّقديم، لأنّهم سيلقونه أمامهم، فيردّون إليه، والمعنى: "بِئسَ مَا قَدَّمُوا مِنَ العَمَلِ لِمَعَادِهِم فِي دَارِ الآخِرَةِ"[2]، وهو ذمّ لفعلهم باعتبار ما سيؤول إليه من الجزاء والعقاب.

الـتّـعـبـير عـن الـعـمـل بـما قـدّمـوا ليشمل أعمال الجوارح وأعمال القلوب

قوله ﷻ: ﴿مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ التعبير بـ ﴿مَا قَدَّمَتْ﴾ يشمل ما قدّموه من العصيان وعدم التّناهي عن المنكر، والاعتداء وتولي المشركين والجبابرة، والتعبير بما قدمت أنفسهم يشمل الفعل والقول، والحقد والحسد[3].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/164.
(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/412، والهرري، حدائق الروح والريحان: 7/431.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2322.

السّرّ في تقديم الجارّ والمجرور (لهم)

قـــدّم الـجـارّ والمـجـرور على الـفـاعـل لبيان اختصاص المقدّم بهم

في قوله جلّ شأنه: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قدّم الجارّ والمجرور على الفاعل فلم يقل: (قدّمت أنفسُهم لهم)؛ تخصيصًا لهم بالمقدّم، وأنّه لن يكون لغيرهم، على معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المدثر: 38].

الإيجاز بالحذف للمبالغة:

ذكـــر الـسّـخـط وأراد مـوجِـبه، فـأقـام المـضـاف إلـيـــه مـقـام المضاف مبالغة، فأعمالهم هي السّخط ذاته

قوله ﷻ: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ ذكر السّخط، وأراد ما يوجب سخط الله عليهم وهو "المخصوص بالذمّ، كأنه قيل: لبئس زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم. والمعنى: موجب سخط الله"[1]. وموجب سخط الله عليهم هو موالاة عبدة الأوثان[2]، فهو "على حذف المضاف وإقامةِ المضافِ إليهِ مُقامَهُ؛ تنبيهًا على كمال التّعلق والارتباط بينهما، كأنهما شيء واحد ومبالغةً في الذّمّ، أي موجبُ سُخطِه تعالى"[3].

علّة تقدير مضاف محذوف:

قـــدّروا المضاف لأنّ سخط الله تـــعـــالى لـيـس مـذمـومًـا، بل المذموم الأسباب الموجبة له

في قوله ﷻ: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قدّروا مضافًا محذوفًا؛ لأنّ السّخط باعتبار إضافته إلى الله سبحانه ليس مذمومًا، بل المذموم ما أوجبه من الأسباب[4]. ولأن الله تعالى لا يسخط على أحدٍ إلا بموجبات لذلك.

المجاز بذكر العذاب وإرادة محلّه:

خلودهم في النّار حيث العذاب

قوله جلّ شأنه: ﴿وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ "أي في جهنم"[5]، فذكر الحالّ وأراد المحلّ، فخلودهم في النّار، ولكنّه قال العذاب؛ لأنّه في النّار.

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/667.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 7/431.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/70، والقنّوجي، فتح البيان: 4/33.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 3/377.
(5) النسفي، مدارك التنزيل: 1/468.

الغرض من تقديم الخبر:

قـــدّم الـخـبـر (الـــعـــذاب) تـعـجـيـلًا لإفـجـاعـهـم واهتمامًا به

في قوله جلّ شأنه: ﴿وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ قدّم العذاب وهو جزء من الخبر؛ تأكيدًا لوقوعه[1]، وتعجيلًا لإخبارهم بما يفجعهم، فأول لفظ يطرق سمعهم في هذه الجملة هو أشدّ ما يفجعهم.

تأكيد الخبر بضمير الوصل وبتقديم الخبر:

أكّد الخبر لأنهم منكرون لطول بقائهم في النّار

قوله جلّ شأنه: ﴿وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ جاء مؤكّدًا فقد "أكّد سبحانه عذابَهم بكلمة ﴿هُمۡ﴾ وتقديم ﴿وَفِي ٱلۡعَذَابِ﴾، وتخليده"[2]؛ وإنّما أكّده بهذه المؤكّدات لما زعموا أنّ النّار لن تمسّهم إلّا أيامًا معدودة، فألقى الخبر عليهم مؤكّدًا؛ إثباتًا لخلودهم العذاب وهم قد أنكروه.

الفرق بين السّخط والغضب:

السّخط الغضب الشّديد المقتضي للعقاب، وإسناده إلى الله تعالى يعني إنزال العقوبة

الغضبُ عامّ والسّخط خاص؛ فهُوَ "لَا يكون إِلَّا من الكبراء والعظماء دون الأكفاء والنّظراء"[3]. وفي تفصيل ذلك يقول أبو هلال: "أَنّ الغَضَب يكون من الصّغير على الكَبِير وَمن الكَبِير على الصَّغِير، والسّخط لَا يكون إِلَّا من الكَبِير على الصَّغِير، يُقَال: سخط الأَمِير على الحَاجِب، وَلَا يُقَال: سخط الحَاجِب على الأَمِير، وَيستَعمل الغَضَب فيهمَا والسخط إِذا عديته بِنَفسِهِ فَهُوَ خلاف الرِّضَا، يُقَال: رضيه وَسخطه، وَإِذا عدّيته بـ (على) فَهُوَ بِمَعنى الغَضَب، تَقول: سخط اللّه عليه إِذا أَرَادَ عِقَابه"[4].

قوله ﷻ: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ لمّا جاء في سياق الحديث عن تولّي الكافرين، ثمّ ذكر تأكيد ذمّ أفعالهم التي قدّموها ناسب أن يذكر غضبه عليهم مع دلالة العقاب، فآثر أن يعبّر عن ذلك بلفظ السّخط المقتضي للعقاب مع الدّلالة على الغضب ضمنًا.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2322.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2322.
(3) الكفوي، الكليات، ص: 515.
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 130، ص: 123.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»